83064 ـ سمعة أهلها سيئة وتريد السفر بعيداً عنهم !!

السؤال

أنا حياتي في البيت لا تطاق ، ومن كثرة ما حصل من أهلي ـ أمي ، وأبي ـ كرهت نفسي وكرهتهم ، وأدى بي ذلك إلى عقوقهم ، ولا أقدر أن أبرَّهم تحت أي ظرف ، وأرجو أن الرد يكون غير المحاولة مرة أخرى ، سمعتهم سيئة ، فيه طلاق لكن بطريقة لا أقدر أن أقولها ، أنا قررت أن أبعد عنهم وأسافر مكاناً أعيش فيه وأشتغل بعيداً عن سمعتهم .
أنا منقبة بسبب المشاكل ، المكان يشترط عدم وجود النقاب ، ولكن فقط محجبة ، أنا قررت أسافر وأعيش بعيداً عن كل هذا ، أن أكون محجبة أحسن من أن أكون منقبة قد وصلتْ ـ والعياذ بالله ـ للكفر !
بالله عليكم أفيدوني ، أنا محتاجة أتكلم مع أي أحد ، بالله عليكم حلوا مشكلتي، أنا قربت أن أيأس من رحمة ربنا ! أنا لو مت والعياذ بالله خايفة أكون كافرة ،لأنكم لا تعرفون ما بداخلي .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

لا تخلو هذه الدنيا من هموم وغموم ، والمسلم يعلم ذلك ، بل كل الناس يعلمون ذلك ، وكل الناس يعانون من الدنيا نعيمها وبؤسها ، رخاءها وشقاءها :

فيومٌ علينا ، ويوم لنا ويوما نُساءُ ، ويوما نُسرُّ

والفرق بين المؤمن والكافر في ذلك ، أن المؤمن يرجو من الله في الشدة والرخاء من الأجر ، ما حرم منه الكافر لأجل كفره .
قال الله تعالى : (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) النساء/104

والمؤمن يعلم أن ما يراه في هذه الدنيا من الخير ما هو إلا طرف وبارق منه ، وما يراه من الشر في هذه الدار ، أيا كان هذا الشر ، فهو لفحة من الشر , وطرف منه ؛ الخير الحقيقي في الجنة ، والشر الحقيقي في النار :

كان شداد بن أوس رضي الله عنه يقول : إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ، ولن تروا من الشر إلا أسبابه ؛ الخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر بحذافيره في النار ، وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قاهر ، ولكل بنون ؛ فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا) صفة الصفوة (1/709)

ولأجل هذه الحقيقة ، ينسى هذا الخير كله عند أول صبغة لصاحبه في النار ، إن كان من أهلها ، وينسى هذا الشر كله ـ أيضا ـ عند أول غمسة لصاحبه في الجنة ، إن كان من أهلها!!

فتلك حكمة الله تعالى ، التي يراها المؤمن فيما يقدره الله تعالى عليه : أن يبتلي عباده بالسراء والضراء : (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) الأنبياء/35

إن كلام الإيمان ، ودعوى الصدق سهلة على كل أحد ؛ لكن بالاختبار ، يتبين الصادق من الكاذب ، والمؤمن من المنافق . قال تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) العنكبوت/2-3.

ولذلك فإن المؤمن يختلف عن غيره من الناس عندما يُبتلى بالسراء والضراء ، فهو شاكر في السراء ، صابر في الضرَّاء ، ولا خير في غير ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) . رواه مسلم (2999) .

ومن أسمائه تعالى التي سمى بها نفسه : (الحكيم) وفي أفعاله من الحكمة ما يعجز العقل عن الوقوف على أسرارها جميعا ، وفيما تبين لنا منها ما يُثَبِّت المؤمن على سبيل التصديق ، وباب الصبر والثبات . وقد ذكرنا في جواب السؤال رقم : (35914) بعض الحِكَم والمصالح المترتبة على حصول الابتلاء ، فلينظر فهو مهم .

وهناك أمور إذا تأملها من أصيب بمصيبة هانت عليه مصيبته وخفت ، وقد ذكر ابن القيم في كتابه " زاد المعاد " (4 / 189 – 195) جملة منها ، كنا قد ذكرناها في جواب السؤال رقم : (71236) فلينظر ؛ فهو مهم .

ثانياً :

برُّك لوالديك واجب شرعي ، ويحرم عقوقهما حتى ولو كانت أخلاقهما ، أو معاملتهما سيئة ، وحتى لو كان بينهما ما كان ، وقد أمر الله بمصاحبتهما بالمعروف ، وإن جاهداك على الكفر ، كما قال تعالى : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) لقمان/15 .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصلتهما والإحسان إليهما حتى ولو كانا كافرين ، كما قال لأسماء رضي الله عنها وقد جاءت إليها أمها تزورها وهي كافرة لحاجة فقال لها : " صلي أمَّك " كما رواه البخاري (2477) ومسلم (1003) .

ثالثاً :

ابتعادكِ عن أهلك وسفرك بمفردك ، ليس حلا شرعيا للمشكلة ، بل هو نوع من المعالجة الخاطئة ، لوضع غير صحيح ؛ كالمتسجير من الرمضاء بالنار .

عن ابن عباس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : (لاَ يَخْلونَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ إِلاَّ وَمَعَها ذُو مَحْرَم ، وَلاَ تُسَافِر المَرْأةُ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ...)

رواه البخاري (1763) ومسلم (1341).

فدل هذا الحديث على أن سفر المرأة منفردة ، من غير زوج ولا محرم لها ، من المحرمات .

ولفظ " السفر " في الحديث عام ، وهو شامل للسفر إلى الحج أو العمرة أو طلب العلم ، فما تنوين فعله داخل في السفر المنهي عنه في الحديث ، فإذا كان السفر إلى بلاد الكفر : فهو أشد حرمة وأعظم خطراً .

رابعاً :

لا يجوز للمرأة أن تتخلى عن حجابها ورمز عفافها وعنوان دينها وحيائها ، وطاعة الله تعالى مقدمة على الشهوات والملذات وأمور الدنيا الزائفة .

قال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله ـ :

يجب على المرأة أن تحتجب عن الأجانب في الداخل والخارج ، لقوله سبحانه : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) وهذه الآية الكريمة تعم الوجه وغيره ، والوجه هو عنوان المرأة وأعظم زينتها ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) وقال سبحانه : (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ) الآية .

وهذه الآيات تدل على وجوب الحجاب في الداخل والخارج ، وعن المسلمين والكفار .

ولا يجوز لأي امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتساهل في هذا الأمر ؛ لما في ذلك من المعصية لله ولرسوله ؛ ولأن ذلك يفضي إلى الفتنة بها في الداخل والخارج .

" فتاوى المرأة المسلمة " (1 / 446 ، 447) .

خامساً :

لا ينبغي لكِ القنوط من رحمة الله تعالى ، فما جاء في سؤالك من كلام يدل على أنكِ قد فقدتِ الثقة بنفسك ، وقطعتِ الأمل

والرجاء بربك تعالى ، وودَّ الشيطان لو ظفر منكِ بهذا أن يدوم ويستمر ، فإياك أن تنساقي وراء مكائد الشيطان ، وإياك أن تقعي في شرَكِه .

نعم ، نقرأ في رسالتك الحزن والأسى على الحال الذي وصل إليه أهلك ، وما وصلت إليه سمعتهم التي آذتك ، والتي سببت لك التفكير في الرحيل عنهم ، لكننا نريد التفكير بروية ودون تعجل خشية أن تقعي فريسةً بين أنياب أهل الشر ، وبخاصة إذا علموا حال أهلكِ ، ووجودك وحيدة بينهم ، لذا فيجب عليكِ التخطيط للخلاص من تلك المشكلات دون الوقوع في المحرَّمات .

ونقترح عليكِ عرض مشكلتكِ على أحد أقربائك العقلاء من المحارم عليك مثل العم أو الخال ، ليخلصك من مشكلات البقاء بين أهلك ، فالانتقال إلى بيت أحد محارمك هو المقدَّم في حل مشكلتك ، إذا كانت الحياة معهم على ما وصفت ، ولم يكن هناك أمل في صلاحهم ، ويمكن بعدها أن ييسر الله لك زوجاً صالحاً ، تسعدين بالعيش معه ، ويرزقك الله تعالى منه ذرية طيبة .

ولا مانع من أن يسعى أقرباؤك لتتزوجي من رجلٍ صالح ، وهم لو فعلوا ذلك لاستحقوا المدح والثناء ، بل لا مانع من أن تسعي أنت ، عن طريق من تثقين في عقله ودينه ، ونصحه لك ، أن يبحث لك عن زوج مناسب ، أو يذكرك عند شخص معين تتوسمين فيه الصلاح ، وتأملين أن يكون مأمونا عليك .

لكننا على أية حال ، لا ننصحك بالسفر وحدك ، ولا الانتقال لبيت وحدك ، بل ننصحك بالسكن مع أحد أقربائك من المحارم ، إن أمكن ذلك ، على أن تختاري بيتاً صالحاً يصلح أن تعيشي فيه ، فإن لم يتيسر فننصحك بالبحث عن أخوات مستقيمات من الطالبات – مثلاً – وتسكنين معهنَّ ، فإن لم يتيسر فابحثي عن أخت صالحة تعيش مع أخواتها أو أمها ، يصلح أن تكوني بينهن ، والمهم في ذلك كله تجنب العيش وحدك ، وتجنب السفر ، وخاصة لبلاد الكفر ، والحرص على وجود بيئة صالحة ملائمة تصلح أن تحافظي على دينك فيها .

ولا يجوز لك الاستسلام لأوهام الشيطان بأنك من اليائسات أو من القريبات للكفر ، فكل ذلك يساهم في كثرة الهموم والغموم .

وتأملي معي ـ أيتها الأخت الصابرة إن شاء الله ـ قول الله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) البقرة/214 ، فستعلمين أن الأزمة متى اشتدت ، ووصلت هزتها أن تكون زلزالا ، فإن الفرج بعدها قريب برحمة أرحم الراحمين .

وتأملي قول الله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) ، وقوله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) الطلاق/4 ، وقوله تعالى : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس : (يا غلام ؛ أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى !! فَقَالَ : احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) رواه أحمد (2800) ، وصححه الألباني .

وأخيراً : نوصيك بالدعاء ، مع تحري الأوقات الفاضلة كالثلث الأخير من الليل ، وكثرة الدعاء في السجود ، وأخلصي في دعائك ، وتذللي لربك عز وجل أن يهدي والديك ، وأن يصلح شأنهما ، وأن يوفقك لما يحب ويرضى .

وانظري ـ أيضا ـ كتاب " علاج الهموم " في قسم الكتب من موقعنا .

والله أعلم .